حوار عن ندوة كتابي "الخاطرات" في بيت الشعر

* تجربة مختلفة بالنسبة للثقافة العربية في السنوات الأخيرة، فهو ليس كتاب فلسفي منشغل بالجانب النظري أو المعرفي، بل هو كتاب فلسفي تأملى على مستويات مختلفة، ما الذي قادك إلى هذا الاتجاه وعدم الاعتماد على أدب السيرة الذاتية على سبيل المثال؟

**بل أنا أعتبر كتابي هذا كتابًا في فن السيرة الذاتية؛ وإذا كان هذا الفن بوجه عام هو رواية المرء لحياته الشخصية، فإن أسلوب هذه الرواية أو السرد لا ينبغي تحديده في قالب تقليدي مما اعتاده المتلقي ونقاد الأدب. فهذا الكتاب لا يروي حياتي الشخصية في شكل تراتبي للأحداث والمواقف التي عايشتها، وإنما هو حافل بتأمل نماذج منتقاة من الأحداث والمواقف والشخصيات التي عايشتها، واستدعت عندي التأمل الفلسفي الذي يسعى إلى فهم معانيها من خلال شكل جديد من السرد الأدبي الذي تتداخل فيه الأنواع الأدبية؛ ولهذا وصفت هذه السيرة بأنها سيرة ذاتية فلسفية، تمييزًا لها عن الأشكال التقليدية من السيرة الذاتية.**

* في المقدمة توضيح لاختيار عنوان الكتاب "الخاطرات" باعتباره معبر عن ذائقتك الأدبية في تناص مع كتاب المنفلوطى الشهير "العبرات" وكذلك وجدته وصفًا مثاليًا للجمع بين التأمل العقلاني والشعوري، ألا يتحقق ذلك في السير الذاتية كذلك؟

**لقد لاحظ الشاعر الكبير أحمد عبد المعطي أن كلمة "الخاطرات" لا أصل لها ولا لمفردها المفترض وهو "خاطرة" في المعاجم العربية (فالموجود هو الخاطر والخواطر)؛ ولذلك فإنه قد اعتبر استخدام هذه الكلمة إبداعًا في اللغة. والحقيقة أننا ينبغي أن نطور دائمًا في اللغة ونطعمها بمفردات جديدة تعبر عن تطور وعينا وشعورنا بالأشياء في عالمنا. وأنا فضلت استخدام هذه الكلمة بدلًا من كلمة "الخواطر"؛ لأن هذه الكلمة الأخيرة أصبحت مبتذلة بحيث تعبر عن كل ما يرد على الخاطر، وما أدونه في هذا الكتاب هو شيء مختلف تمامًا عن مجرد "الخواطر"؛ لأنه تعبير عن الخاطرة التي تلح على الوعي والشعور، ولكن الذات الواعية هنا لا تدونها قبل أن تخضع لتأمل لمعناها.**

* تلتزم في كتابك بلغة بسيطة وسرد سلس عكس ما يعتقد في مجال الفلسفة، هل يمكن اعتبار ذلك محاولة للانفتاح على متلقى مختلف بخلاف المتلقى المثقف التقليدي؟

**الموضع الأساسي في الفلسفة العامة الراهنة هو فلسفة الحياة، بما في ذلك فلسفة الحياة اليومية. وهذا المجال الفلسفي أصبح محتاجًا إلى التعبير عن نفسه من خلال السرد الأدبي الذي يقوم على التصوير أو التشخيص العياني المفعم بالحياة، ومن أمثلة ذلك كثير من كتابات جاستون باشلار وغيره من الفلاسفة الوجوديين المنشغلين بفلسفة الحياة والوجود.**

* هناك تناص مع عدد من الأعمال الأدبية، وتناول للوحات الفن التشكيلى والأغانى المشتبكة مع الأفكار محل البحث والتأمل، وواضح جدا علاقتك الوثيقة بكتابة جمال الغيطانى وحسن طلب وآخرين على المستوى الشخصي أيضًا، وهناك أيضًا انتقاد لتجربة مفكر بدون ذكر اسمه، لكن يمكن استنتاجه من بين السطور، ما الذي حكم اختياراتك تلك، ودوافعك للاعلان بعض الأسماء وحجب الأخرى؟ هل نعتبرها نوعا من الرقابة الذاتية؟

**لا تنس أنني أستاذ في فلسفة الفن، ومن الطبيعي أن أتأثر في كتاباتي بالأعمال الفنية والأدبية التي تتناص مع ما أكتبه والتي كان لها تأثير كبير في تشكيل وجداني الجمالي، فضلًا عن وعيي الفلسفي. ولا تنس أيضًا أن النص الفلسفي أصبح متدخلًا بقوة مع النص الأدبي؛ ولهذا قال دريدا: إن الفلسفة لا مهرب لها من الجمالي. وأنا مفتون بالفعل بشعر حسن طلب الذي ينبع هو أيضًا من التفلسف، كما أنني مفتون بأسلوب سرد الغيطاني في كتاباته بعنوان "دفاتر التدوين"، وقد سبق أن كتبت عن هذه الدفاتر كتابًا كاملًا بعنوان "عالم الغيطاني: قراءات في دفاتر التدوين"، وأنا تأثرت به في أسلوب السرد المفتوح الذي يقوم في باطنه على تأمل الذات لعالمها، ولكني سلكت طريقًا مغايرًا في موضوع هذا السرد وتوجهه، وتلك مسألة لا يتسع المفام للإفاضة فيها هنا. أما بخصوص الأشخاص الذين لم أذكرهم بأسمائهم، فهم كثيرون، ولم تكن غايتي التشهير بهم، وإنما تأمل حالة الواحد منهم باعتباره مثالًا على نوعه. فعلى سبيل المثال "الشعرور" عندي (وهو الشويعر الذي يتباهى بشعريته)- قد تمثل في حالة عيانية من خلال مواقف شخصية، ولكن الشخص هنا ليس مهمًا، وإنما المهم هو أنه يمثل حالات عديدة في واقعنا الثقافي من "الشعارير". ما يهمني هو وصف معنى أو حالة "الشعرور" كما تتجلى من خلال موقف عايشته في الخبرة، ورأيت أن أعبر عنه من خلال السرد الأدبي الذي يقوم على التصوير والتشخيص. ومثل هذا يمكن أن يُقَال بالنسبة إلى الشخصيات والحالات البشرية التي صورتها في كتابي.**

**الملمح المهم في هذه السيرة الذاتي هو أن الذات ليس منشغلة بذاتها، أعني بسرد تاريخ حياتها الشخصية على التتابع، وإنما هي منشغلة بتجاوز ذاتها إلى ذوات الآخرين، أو بمعنى أدق: بما يتردد صداه في الآخرين ممن عاشوا المواقف نفسها أو يمكن أن يعايشونها بالتمنى أو الخيال. وهذا سر التناص الذي تجدينه بين نصوصي وأعمال الآخرين في الأدب والفن.**